

نفحات القرآن

[206] وأمواج البحر الهائجة وأجنحة الطاووس الملوّنة والمنظر الخلّاب للورد وبراعم الحديقة الخضراء. قد تحصل صور مبهمة ومشوشة لهذه المخلوقات عند الأعمى إلاّ أن تصويرها الحقيقي أمر محال له. لكننا نستطيع توضيح الوحي عن طريق آثاره وأهدافه ونتائجه، ونقول: إن الوحي هو اللقاء الإلهي الذي يتمّ بهدف تحقيق النبوة والتبشير والانداز، أو نقول: إنه نور يهدي به الإنسان من يشاء، أو نقول: إنه وسيلة الارتباط بعالم الغيب وإدراك معارف ذلك العالم. وقد يكون اختصاص حديث القرآن عن الوحي بآثاره ناشئاً من هذا السبب. ينبغي أن لا نتعجب من هذا الأمر، وأن لا نتخذ عدم إدراك حقيقته دليلاً على عدم الوجود، أو نفسره بتفاسير مادية جسمية، فإن في عالم الحيوانات التي نَعُدّها في مستوى أدنى من مستوانا فضلاً عن عالم النبوة، تُشاهد آثار أحاسيس وإدراكات يعجز البشر عن إدراكها، فإنا نعلم أن بعض الحيوانات تضطرب قبل حدوث الزلزلة وتصرخ بصورة جماعية أحياناً، وتارة تحدث أصواتاً مروعة حاكية عن قرب وقوع حدث مفعج، هذا كله بسبب تحلّيها بحاسة تستطيع بواسطتها أن تكشف قرب وقوع الزلزلة، الأمر الذي تعجز عن كشفه أحدث تكنولوجيا في العصر الحاضر. أو أن بعض الحيوانات تتنبأ بتغيرات الأحوال الجوية للأشهر القادمة، فتبني بيوتها وفقاً لتلك الأحوال في الأشهر المقبلة عليها، وتعد الطعام الذي يتناسب مع طول فصل المطر والشتاء، فإذا كان طويلاً - مثلاً - يختلف مقداره عمّا لو كان قصيراً! كما أن بعض الطيور قادرة على الهجرة الجماعية من المناطق القطبية إلى الاستوائية أو بالعكس، وقد يتمّ ذلك في الليل بل وحتى في الليالي وفي السماء